رسالة في التوحيد

لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى
والرئيس العام للمجمع الفقهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق العباد لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له في ربوبيته، وإلاهيته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع سبيله ودعا بدعوته ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد - فهذه نبذة يسيرة تبين للمسلم العقيدة السلفية النقية عن كل مايشوبها من خرافة وبدعة، عقيدة أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من محققى العلماء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

اعلم أن التوحيد الذي دل عليه القرآن والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، ثلاثة أقسام :

★ توحيد الربوبيـــة .
★ توحيد الألوهيـــة .
★ توحيد الأسماء والصفات .

فصـــل
في بيان توحيد الربوبية

أما توحيد الربوبية ، فقد اعترف به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ولم يدخلهم في الاسلام، فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لايكون به الإنسان مسلماً. قال تعالى : **(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله، قل أفلا تتقون)**.
أى أفلا تفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة ماسواه.

فقوله تعالى : (**قل من يرزقكم من السماء والأرض**) أى من ذا الذى ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته، ومشيئته، فيخرج منها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً، ونخلا وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا ، أإله مع الله؟ فسيقولون الله.

وقوله : (**أمن يملك السمع والأبصار**) أى الذى وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها، كقوله تعالى : (**قل هو الذى أنشأكم، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، قليلا ماتشكرون**).

وقال : (**قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم**) الآية.

وقوله : (**ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**) بقدرته العظيمة ومنته العميمة.

وقوله : (**ومن يدبر الأمر**) أى من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون . (**يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن**) فالملك كله العلوى والسفلي، ومافيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه عبيد له، خاضعون لديه (**فسيقولون الله**). أى وهم يعلمون ذلك ويعترفون به، (**فقل أفلا تتقون**) أى افلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم فكثيراً مما يحتج سبحانه وتعالى على المشركين، بما اعترفوا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الألوهية، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، (**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنت تعلمون، سيقولون لله، قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله، قل افلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير، ولايجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله ، قل ، فأنى تسحرون**).

وتوحيد الربوبية، قد فطرت على قبوله، والاعتراف به قلوب بنى آدم، فلم ينكره إلا شذاذ قليلون، من بني آدم، ففرعون القائل: أنا ربكم الأعلى، والقائل ما علمت لكم من إله غيرى، معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجد لهذا العالم، كما حكى الله عنه، في قوله: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا، وفيما حكى الله عن نبيه موسى عليه السلام في قوله لفرعون : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر .

فصل
في توحيد الألوهية

وهو اخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فلا يعبد إلا الله وحده، ولا يدعى إلا هو، دون غيره من الملائكة والنبيين والاولياء والصالحين وغيرهم. ولا يلتجى لكشف الضر إلا إليه، ولا لجلب الخير إلا اليه، ولا

ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه سبحانه، ولايستعان ولا يستغاث إلا به وحده. إلى غير ذلك من أنواع العبادة كالرغبة والرهبة والإنابة إلى الله، والخشوع له، فصرف شيء منها إلى غير الله شرك مناف للتوحيد الذي أرسل لأجله الرسل. فجميع الرسل أرسلوا لتحقيق هذا النوع من التوحيد.

قال تعالى : (**لقد أرسلنا نوحا إلى قومه، فقال ياقوم اعبدوا الله، مالكم من إله غيره» فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك إلى عبادة الله وحده سبحانه**).

وقال هود لقومه : (**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**).

وقال صالح لقومه : (**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**).

وقال شعيب لقومه : (**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**).

وقال ابراهيم عليه السلام لقومه : (**اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**).

وقال تعالى : مخاطباً لنبينا محمد ﷺ : (**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**).

وأول ما أمر به نبينا محمد ﷺ سيد المرسلين وخاتم النبيين توحيد الله بعبادته وحده، لا شريك له، واخلاص الدين له وحده، كما قال عز وجل (**يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر**) ومعنى قوله: وربك فكبر أى عظم ربك بالتوحيد، وإخلاص العبادة له وحده، لاشريك له، وهذا قبل الأمر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وغيرها من شعائر الإسلام.

ومعنى (قم فأنذر) أى أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده لاشريك له، وهذا قبل الانذار عن الزنا والسرقة والربا، وظلم الناس وغير ذلك من الذنوب الكبار.

وهذا النوع من التوحيد هو أعظم أصول الدين وأفرضها، فلأجله خلق الله الخلق، كما قال : (**وما خلقت الجن والإنس ، إلا ليعبدون**) ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)

ومعنى : (اعبدوا الله) وحدوا الله، وأفردوه بالتأله له تعالى، فالعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة، والباطنة من الدعاء والخوف، والرجاء والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، إلى غير ذلك من أنواع العبادة. وصرف شيء من هذا إلى غير الله شرك بالله، ومناف لكلمة التوحيد : لا إله إلا الله، التى أرسل لأجلها جميع الرسل، فإنها كلمة عظيمة، قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها

نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة الى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت السيوف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدى الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين، فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلا الله، معرفة واقرارا وعملا، وجواب الثانية بتحقيق، أن محمدا رسول الله معرفة واقرارا وانقياداً وطاعة .

ومعنى الإله هو المالوه المعبود الذى يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الاله، وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد - كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وغيرهم، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذى بعث به رسوله ﷺ، فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين.

قال تعالى : (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**) ومع ذلك كانوا يعبدون، ويدعون غيره، ويطلبون المدد من دون الله، وإذا قيل لهم لم تعبدون، وتدعون غير الله، وأنتم تقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء يجيبون : (**مانعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى**).

وقد وقع كثير من الناس في كثير من أنواع الشرك الذي حذر عنه النبي ﷺ ، وجاء الإسلام لمحوها .

ومن أنواع الشرك الذى وقع فيه الكثير طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلا عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له عند الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع.

ولكن ياحسرة على العباد يعملون على قبور المشايخ ومشاهدهم ماكان يعمله المشركون على مشاهد أوثانهم.

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله :

هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعياداً للصلاة إليها والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم،

وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم، ومن لم يصدق ذلك ، فليحضر مشهداً من مشاهدهم المعروفة، حتى يرى الغلاة، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب - اذا رأوها من مكان بعيد - فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لايبدى ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر كأجر من صلى إلى القبلتين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً، يبتغون فضلاً من الميت، ورضوانا، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله - بل للشيطان - مايراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات. ويطلب من الميت من الحاجات. ويسأل من تفريج الكربات، واغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولى

العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام. الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود ومايفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التى يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم، وقربانهم لغير الله رب العالمين.

قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال: وهم عندى كفار، مثل تعظيم القبور، والتزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران، وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج،

وكتب الرقاع فيها، يامولاى افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركاً. وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بآجرة مسجد الملموسة يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبو بكر، أو محمد وعلى، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر، ولم يخرق ثيابه الى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : «ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور ، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وماعليه أكثر الناس اليوم، رأى احدهما مضادا للآخر، مناقضا له بحيث لايجتمعان أبداً، فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور. وهؤلاء يصلون عندها واليها. ونهى عن اتخاذها مساجد. وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد، مضاهاة لبيوت الله،

ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل ، ونهى عن أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها لما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدى قال: قال لى علي : ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله ﷺ . أن لاتدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفا الا سويته، وحديث ثمامة بن شفى وهو عند مسلم - أيضاً - قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه - لما روى مسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه . قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه، ونهى عن الكتابة عليها - لما روى أبو داوود في سننه، : أن رسول الله ﷺ نهى عن

تجصيص القبور، وأن يكتب عليها، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى عن أن يزاد عليها غير ترابها، كما روى أبو داوود عن جابر – أيضاً – أن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه أو يزاد عليه، وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار، قال ابراهيم النخعى: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم.

والمقصود أن هؤلاءا المعظمين للقبور المتخذينها أعياداً الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب المناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ. محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي : ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام. قال : ولايجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد، يحذر ماصنعوا – متفق عليه –

ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها . انتهى.

قال العلامة المباركفوري الهندى في كتابه : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : على قول علي لأبي الهياج الأسدي أبعثك على مابعثني النبي ﷺ ، أن لاتدع قبراً مشرفا، إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته، مانصه:

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أولياً، القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً - هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، بل ظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها مايسأله العباد من ربهم، وشدوا إليه الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا. وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام ، إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لانجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً، ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار مالايشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين، أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك

ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم، وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، فياعلماء الدين وياملوك المسلمين أى رزء للاسلام أشد من الكفر، وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن انكار هذا الشرك البين واجباً.؟.

لقد اسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت
ولكن انت تنفخ في رماد

قال العلامة ابن القيم رحمه الله – في قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف – : فيه أنه لايجوز ابقاء مواضع الشرك

والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، وكذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور، والتى اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر، لايجوز ابقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة، أو أعظم شركاً عندها وبها، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً. والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ولكن لاتزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين ا.هـ ملخصاً.

وماذا يفيد الملتجئون إلى أصحاب القبور، وهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، بل هم محتاجون إلى رحمة الله وإلى من يدعو لهم من الأحياء بالرحمة والمغفرة لهم.

فهذا سيد الخلق وأشرف المرسلين وأكرم البرية يقول لأعز الناس عنده بنته فاطمة، والتى هي بضعة منه، وعمه عباس بن عبد المطلب، وعمته صفية بنت عبد المطلب، ولعشيرته الأقربين : يامعشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم (اى بالايمان بالله والعمل الصالح) لا أغنى عنكم من الله شيئاً، ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، ياصفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويافاطمة بنت محمد سليني من مالى ماشئت لا أغنى عنك من الله شيئاً.

فإذا كان سيد المرسلين صرح بأنه لا يغنى شيئاً عن سيدة نساء العالمين ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم فتبين له التوحيد وغربة الدين.

وفي الحديث رد على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه.

كما أن فيه دلالة صريحة على أنه لايجوز أن يسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل مالايقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى. فإن ماعند الله لاينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لاينفع بنته ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته، إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى وفي قصة عمه أبى طالب معتبر.

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لايملكون لأنفسهم ضراً، ولا نفعاً، فضلا عن غيرهم ، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء . انهم اتخذوا

الشياطين أولياء من دون الله، ويحسبون أنهم مهتدون).
أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم انداداً من دون الله يحبونهم كحب الله، إشراكاً بالله، وعبادة لغير الله، وعداوة لله ولرسوله، والصالحين من عباده كما قال تعالى : (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته، فقد علمته تعلم مافي نفسى، ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب، ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم، وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شهيد).

ونحن مع هذا لاننكر شفاعة رسوله ﷺ والأنبياء والصالحين ، فقد صح أن الأنبياء يشفعون، والأولياء يشفعون، والافراط يشفعون، لكن لانطلب الشفاعة منهم ولكن نطلبها من الله، فلا يشفع أحد إلا بإذن الله له، كما قال تعالى: **(من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه)** وهو سبحانه تعالى لا يأذن إلا لمن رضى الله قوله وعمله، كما في قوله تعالى: **(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)** فنقول : اللهم لاتحرمنا شفاعة نبيك اللهم شفعه فينا، وأمثال هذا.

والأحياء يشفعون للميت إذا قاموا يصلون عليه بدعائهم له، كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس وغيره، ان رسول الله ﷺ قال: مامن مسلم يموت فيقومون على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه. وكما في دعاء المصلين على الطفل المتوفى، فانهم يقولون في دعائهم اللهم اجعل لوالديه فرطاً وأجرا وشفيعاً مجاباً فيسألون الله أن يقبل شفاعة هذا الفرط

لوالديه، لا أنهم يطلبون الشفاعة من الفرط نفسه، لأن الشفاعة ملك لله، قال تعالى: (**قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض**).

فصـــل
في توحيد الأسماء والصفات

هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك باثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا ننفي عنه ماوصف به نفسه ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته.

فمن صفات الله التى وصف بها نفسه، الاستواء، فقال عز من قائل في سورة الأعراف: (**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**) .

وقال في سورة يونس : (**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش**) .

وقال في سورة الرعد : (**الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش**).

وقال في سورة طه : (**الرحمن على العرش استوى**).

وقال في سورة الفرقان : (**ثم استوى على العرش، الرحمــــن**).

وقال في سورة السجدة :(**الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش**).

وقال في سورة الحديد : (**هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش**) .

فهذه سبعة مواضع أخبر فيها سبحانه أنه على العرش وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أنْ يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي، فهو عنده فوق العرش.

وقد سئل الامام مالك رحمه الله عن قوله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى، فأطرق مالك وعلته الرحضاء يعني العرق، وانتظر القوم مايجييء منه، فيه فرفع رأسه إليه وقال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء وأمر به فأخرج.

وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء كاف شاف في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في النزول : النزول معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وهكذا يقال في سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة. ولايجوز تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء، لأنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه، إذ هو مستول على العرش، وعلى الخلق، ليس للعرش مزية.

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله : من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سموات، بائن من خلقه، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب، والا ضربت عنقه، وألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة.

كما أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى فوق سماواته، بائن من خلقه، قال الله تعالى: (**إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه**).

(**ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ، بل رفعه الله إليه، أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور**).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ان النبي ﷺ قال : ألا تأمنونى وأنا أمين من في السماء.

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال للجارية : أين الله ، قالت في السماء، قال : من أنا؟ قالت : أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة . رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

ومنكر أن يكون الله في جهة العلو بعد هذه الآيات والأحاديث مخالف لكتاب الله، ومنكر لسنة رسول الله ﷺ.

قال مالك بن أنس : الله في السماء وعلمه في كل مكان، لايخلو من علمه مكان.

وقال عبد الله بن المبارك: نعرف ربنا فوق سبع سموات بائنا من خلقه، ولا نقول، كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار إلى الأرض، بل نعتقد إن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته مستو على عرشه، وانه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان والتسليم لذلك، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، ولا نفي لحقيقة النزول، فروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول : من يدعونى

فاستجيب له من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر.

وفي لفظ : ينزل الله عزل وجل .. ولايصح حمله على نزول القدرة ولا الرحمة، ولا نزول ملك، لما روى مسلم - باسناده - عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعونى فأستجيب له، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يضيء الفجر.

وروى رفاعة بن عروبة الجهني أن رسول الله ﷺ قال إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل ينزل الله عزل وجل إلى سماء الدنيا، فيقول : لا أسأل عن عبادى أحداً غيري، من ذا الذي يستغفرني أغفر له، من ذا الذي يدعوني استجيب له، من ذا الذي يسألني اعطيه، حتى ينفجر الصبح. رواه الامام أحمد.

وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل .

وروى حديث النزول علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وعمرو ابن عبسة، وأبو الدرداء، وعثمان بن أبي العاص، ومعاذ بن جبل، وأم سلمة زوج النبي ﷺ وخلق سواهم رضى الله عنهم ونحن مؤمنون بذلك مصدقون من غير أن نصف له كيفية أو نشبهه بنزول المخلوقين.

اليـــدان : ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز والثابتة عن رسول الله ﷺ اليدان قال الله عزل وجل: (**بل يداه مبسوطتان**) وقال عزل وجل : (**مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى**).

فلا نقول يد كيد، ولا نكيف ولا نشبه، ولا نتأول

اليدين على القدرتين، كما يقول أهل التأويل، بل نؤمن بذلك، ونثبت الصفة من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا يصح حمل اليدين، على القدرتين فإن قدرة الله عزل وجل واحدة، ولا على النعمتين، فإن نعم الله عزل وجل لاتحصى. كما قال عزل وجل : (**وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها**).

ونثبت لله عز وجل صفة النفس التى وردت في كتاب الله تعالى، وثبتت في سنة رسوله ﷺ.

قال الله عز وجل – اخبارا عن نبيه عيسى عليه السلام انه قال : (**تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك. وقال عز وجل: كتب ربكم على نفسه الرحمة. وقال سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: واصطنعتك لنفسي، وقال يحذركم الله نفسه**).

وروى ابو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة. رواه مسلم.

الوجـــــه

ومن الصفات التي نطق بها القرآن. وصحت بها الأخبار الوجه قال الله عزل وجل : ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾، وقال : ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾.

وفي حديث أبى موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال : إن الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار،

وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، ثم قرأ أن بورك من في النار ومن حولها.

فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب. وخبر الصادق الأمين، فيجب الاقرار بها والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات.

ونعتقد ان الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة – كما جاء في كتابه – وصح به النقل عن رسوله ﷺ قال الله عزل وجل : **(وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة)**.

وروى جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه، قال : كنا جلوسا ليلة مع رسول الله ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال : إنكم سترون ربكم عز وجل، كما ترون هذا القمر، لاتضامون في رؤيته – الحديث.

قال مالك بن أنس رضي الله عنه : الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة.

وفي معتقد أهل السنة والجماعة إن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام إذا شاء متى شاء، قال الله عزل وجل : (**وكلم الله موسى تكليماً**).

قال أبو العباس بن سريج : ان جميع الآي الواردة عن الله في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في صفاته التى صححها أهل النقل يجب على المرأ المسلم الايمان بكل واحد منه. كما ورد، وتسليم أمره إلى الله، كما أمر، وذلك مثل قوله سبحانه : (**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**) ، وقوله : (**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**)، وقوله : (**الرحمن على العرش استوى**). وقوله : (**والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**).

ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقيه والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين، والنظر والإرادة والرضاء والغضب والمحبة والكراهة. والقرب والبعد، والسخط والاستجابة وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه، ونزول القرآن منه، وندائه الأنبياء وقوله للملائكة وقبضه، وبسطه، وعلمه، ووحدانيته، وقدرته، ومشيئته، وصمدانيته، وفردانيته، وأوليته، وآخريته، وظاهريته، وباطنيته، وحياته، وبقائه، وأزليته، ونوره، وتجليه، والوجه، وخلق آدم بيده، ونحو قوله: أأمنتم من في السماء، وسماعه من غيره، وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المذكورة في كتابه المنزل وجميع مالفظ به المصطفى من صفاته كغرس جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه القدم، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وغيرته، وفرحه بتوبة العبد، وانه ليس بأعور، وإن كلتا يديه يمين،

وحديث القبضتين وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وانه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من حثياته، فيدخلهم الجنة وحديث القبضة التى يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيرا قط، وإثبات الكلام بالحرف والصوت، وكلامه للملائكة ولآدم، ولموسى، ومحمد والشهداء وللمؤمنين عند الحساب، وفي الجنة ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، وما أذن الله بشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن ، وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه، وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار الواردة في صفات الله سبحانه مابلغنا، ومالم يبلغنا مما صح عنه، اعتقادنا فيه أن نقبلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولانزيد عليها، ولا ننقص منها، ولا نكيفها، ولا نشير اليها بخواطر القلوب، بل نطلق ما أطلقه الله، ونفسر مافسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون، والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة ونجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك عما أمسكوا

عنه، ونسلم الخبر لظاهره والآية لظاهرها، مع اعتقاد معناها ومادلت عليه، لانقول بتأويل المعتزلة والأشعرية، والجهمية والملحدة، والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل. ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول الإيمان بها واجب على وجه يليق بجلاله.

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري رحمه الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ماوصف الله به نفسه، فقد كفر، وليس ماوصف الله نفسه تشبيهاً، وقد قال الله تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». فقوله : ليس كمثله شيء رد على المشبهة، وقوله: وهو السميع البصير، رد على المعطلة.

فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين، فمن قال: لا اعقل علماً ويداً

إلا من جنس العلم واليد المعهودة، قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذات المخلوقين، ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته، وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء إلا مايناسب المخلوقين. فقد ضل في عقله ودينه، وما أحسن ما قال بعضهم إذا قال لك الجهمي : كيف استوى أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يراه ونحو ذلك. فقل له : كيف هو في نفسه، فإذا قال : لايعلم ماهو إلا هو، وكنه الباري غير معقول للبشر، فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن يعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي .

ومن أول نصوص الصفات أو قال انها الفاظ لايعقل معناها، ولايدرى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها الفاظاً لامعانى لها، فقد أخطأ خطأ بيناً، بل هى آيات

بينات دالة على أشرف المعاني وأجلها.

وبالجملة إن مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات ما أثبته الرب لنفسه وما أثبته له أعلم الخلق به محمد ﷺ كالاستواء والمحبة والغضب والرضا والسمع والبصر والرحمة والعلم والكلام واليدين، والوجه، والنداء وإن هذا القرآن المحفوظ في صدورنا المتلو بألسنتنا المسموع بأذاننا. هو كلامه حقيقة كما قال تعالى: (**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**، وقوله: **إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة**)، وقوله: (**وإن أحد من المشركين استجارك، فأجره حتى يسمع كلام الله**)، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب وصح عن رسول الله ﷺ من إثبات الصفات له جل وعلا، اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل مع اعتقاد معناها ومادلت عليه على حد قوله تعالى: (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) وقوله: (**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد**).

وهذا هو حقيقة مذهب سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة العلماء المحققين. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى
و
الرئيس العام للمجمع الفقهي
١٥/٧/١٤٠٢هـ

فهـــرس